

أشياء المغني التي أزهرت في الفكين

(إلى أحمد قاسم دماج)

محمد الشيباني*

"تشبه كل شيء
ولا يشبهك شيء سواك"
قرقة مثل هذه
لا أظنها ستعرف ب:
الحكيم وجذر الحكايات الضارب عميقاً
في الهاجس الناحل
البسيط مثل أحلام "الأبهم" والذين معه في الطفولة،
الزاهد إلا من الحب
والماء غير المكسور،
القليل المتكاثر في القول،
الصعلوك هائشاً خمساً وستين سنة
بمزاج راع يتفشى فينا
مثل غيمات نيسان في القرى.

* شاعر من اليمن.

فاتحو الكوى القديمة
 هم أيضا فاتحو "بوك" الأيام الحميم
 وكلهم مثقل بضجة سؤال
 تنقشه الرغبة مثل حناء:
 من أين ابتدأت الآهة البكر "أيها الولد"؟
 هل من أزقة قرية معلقة على جبل "التعكر"
 حيث لم تنزل الأمُّ ترعاك مثل طفل.
 ربما من "قاهرة" الرهائن
 المقدودة من جبل أحمر
 ومن قيدين صدئين حضرا كثيراً في عظام
 ابن الثامنة.
 هي عند بعضهم
 من صفحات الكتب الممنوعة
 التي وصلت إلى المضاربة والخبوت
 قبل قرن منصوف
 وهي عند الشاعر
 من طرقات الأصابع الخجلى للقصيدة
 الأولى على باب غير مغلق في الضلوع
 اسمه القلب.

ومع كل ذلك لا بد للمغني أن
 يتعالى بصوته المصفى
 المغني بوجنتين يابستين
 لأن نايات القصب المائي أزهرت
 في الفكين الطريين.

ولا بد للطائر أن يحضر برفيفه
 بعينيه الحادثين
 لأن كل ما هو معشش في الرأس
 يقرأ فضولنا من شاهق "أيها الولد"
 القريب من اللوعة

نفسه القريب من الفقد
فلا يستأنس الكائن
بما يمكن اعتباره مدخلا للألم
ولهذا السبب "أيها الولد"
سنفصح عن مدوناتنا المخفية
التي كثيراً ما نؤجل إشهارها
لنكتشف لاحقاً أننا أسانا
تخزينها
مثل معلبات
منتية الصلاحية.

● أكتوبر ٢٠٠٤